المدينة المفقودة

مسرحية في لوحة واحدة

بقلم واسم حول

اشخاصها : احمد ـ هاني ـ بائع .

الزمان : أي وقت .

المكان : صحراء .

(على جانب من المسرح كشك كوكا كولا كتب عليه « هذا من فضل ربي » وعلى مقربة منه شجرة تساقطت اوراقها . على الجانب الاخر مصطبة قريبة من مقدمة المسرح .

يدخل شخصان هما احمد وهاني) .

احمد ـ انظر .. هذه مصطبة .

هاني ـ وهذا بائع كوكا كولا .

(يسرعان نحوه) .

هاني ـ أعطنا كوكا كولا لطفا .

(البائع لا يجيب) .

احمد ـ (يدق على مقدمة الكشك) هل انت نائم ايها الرجل ؟

(البائع لا يجيب) .

احمد ـ يبدو انه لا يرغب في البيع .

هاني ـ هلا أعطيتنا كوكا كولا يا رجل ؟

احمد ـ انه لا ينبس ببنت شفة . خذ واشرب .

هاني ـ لقد اتفقنا مسبقا يا صديقي ان يكون التفاهم مع الاخرين رائدنا .

احمد ـ ماذا نعمل اذن ؟

هاني ـ نجلس .

احمد ـ الى متى ؟

هاني ـ حتى تفتح ابواب السماء للضائعين .

احمد ـ وان لم تفتح الابواب ؟

هاني ـ لا بد وان يحدث ذلك يوما بشكل او باخر .. اليوم ، او غدا ، او بعد غد .. من يدري .

احمد ـ اتريدنا ان نبقى في هذا المكان المقفر ؟

هاني ـ نأخذ قسطا من الراحة ونمضي نحو المدينة .

احمد ـ ومن اخبرك ان هذا الطريق يؤدي الى المدينة ؟

هاني ـ لا بد ان طريقا ما يوصلنا للمدينة ..

احمد ـ أي مدينة ؟

هاني ـ اية مدينة كانت . المهم ان تكون هناك مدينة .

احمد ـ يا صديقي ، أحس بخدر يطبق اجفاني .

هاني ـ نم يا حبيبي .

(احمد يستلقي مسندا رأسه على فخذ هاني ـ لحظات ويبدأ احمد يتحرك كأنه نائم في القطار . يمتلىء المسرح باصوات باعة المرطبات ـ بارد كوكا بارد ـ يتحول الصوت الى صدى ـ با ـ ر..د كو .. كا .. با .. ر .. د ـ صوت قطار من بعيد . يمتلىء المسرح بضوء بروجكتور حاد يسلط على المشاهدين ثم يختفي دليل مرور القطار يصحبه الضوء . يقفز احمد) .

احمد ـ ألم نصل بعد ؟

هاني ـ الى اين ؟

احمد ـ الى المدينة .

هاني ـ انت تحلم يا صديقي .

احمد ـ كلا . لقد مر من هنا قطار .

هاني ـ قلت لك يا صديقي انك تحلم وخير لك أن تنام .

احمد ـ قد مر من هنا قطار (ينادي البائع) ايها الرجل ألم يمر من هنا قطار ؟

البائع ـ كلا .

احمد ـ قطار .

البائع ـ القاطرات لا تمر من طريقنا هذا.. من هنا تمر الجمال.. القوافل ..

احمد ـ هل لي ان اطلب شيئا منك .

البائع ـ ما هو ؟

احمد ـ زجاجة كوكا كولا .

البائع ـ ما هو ؟

احمد ـ زجاجة كوكا كولا .

(البائع لا يجيب) .

هاني ـ ارجوك ان تنام يا احمد حتى يأتي دوري فانام ومن ثم نواصل مسيرتنا نحو المدينة قبل ان يدركنا الليل .

(ينام احمد) .

البائع ـ مم يعاني صديقك ؟

هاني ـ لا شيء . لا شيء .

البائع ـ وما علاقتي بالامر ؟

هاني ـ كان يريد زجاجة كوكا كولا فحسب .

البائع ـ وما علاقتي بالامر ؟

هاني ـ ألست بائع مرطبات ؟

البائع ـ بلى .. ولكنني حر .

هاني ـ هذا صحيح ..

البائع ـ هل تحملون نقودا ؟

هاني ـ نعم ..

البائع ـ تعال اذن .. ولكن احذر ان يسمعنا احد .

هاني ـ هل يوجد اخرون في هذا المكان ؟

البائع ـ كلا ، لا احد لا احد .

(يتقدم هاني نحو البائع ويقدم له قطعة نقود) .

البائع ـ (يتفحصها) من اين جئتم ؟

هاني ـ لماذا ؟

البائع ـ ان هذه عملة اجنبية .. من أي بلد انتم ؟

هاني ـ جئنا من مكان ما

البائع ـ وما هي وجهتكم ؟

هاني ـ الى مكان ما .

البائع ـ انتم غرباء اذن ؟

هاني ـ هذا صحيح . واني ارجوك ان لا تحدث احدا في الموضوع . ونحن نطلب المساعدة منك في قضيتنا هذه .

البائع ـ نحن قوم لا نقدم المعونة للغير . كل يحمل همومه .

(يتحرك احمد وكأنه نائم في قطار . تعود اصوات باعة المرطبات . ضوء وصوت القطار بسرعة .. يسقط احمد من المصطبة) .

احمد ـ القطار يا هاني .. القطار .

هاني ـ اوه .. انك ما زلت تحلم يا صديقي . ليس هناك اي قطار .

احمد ـ انني لم احلم ، لكن القطارات قد مرت من هنا . لـــوح لسائق القطار لو مر من هنا قطار ، فربما حملنا معه الى المدينة .

هاني ـ ليس في هذا المكان من يحس بهموم الاخرين . لقد قال هذا الرجل : كل يحمل همومه . نم يا صاحبي .

(ينام احمد) .

هاني ـ (للبائع) أ.. أرجـــو ان لا أسبب لك ازعاجا بكثـــرة الاسئلة . وددت ان اسالك عن الطريق الذي يمكن ان يوصلنا للمدينة.

البائع ـ ليس هناك طريق يوصل للمدينة .

هاني ـ لماذا ؟

البائع ـ لانه ليست هناك مدينة اصلا .

هاني ـ اطلاقا ؟

البائع ـ اطلاقا .

هاني ـ حسنا ، من اين جئت انت ؟

البائع ـ ما هذا السؤال اتغريب ؟ تقد خلقني الله . لقد خلقنا جميعـــا .

هاني ـ اعرف ذلك . لكن لا بد من وجود مكان كنت فيه وعشت على خيراته وجئت منه .. لا بد من مكان فيه بيوت واشجار مثلا .

البائع ـ هذه شجرة جلبتها من المدينة فتساقطت اوراقها .

هاني ـ لكنك نفيت وجود المدينة قبل قليل .

البائع ـ كانت هناك مدينة . اهلها طيبون ، لكن الله غضب عليهم بعدما عاثوا في الارض فسادا ، فدمرها .

هاني ـ وكيف نجوت ؟

البائع ـ لم يغضب علي الباري عز وجل ، فرحم بي ، وها انـا ابيع واشتري .

هاني ـ اذن هلا بعتني زجاجة كوكا كولا ؟

(البائع لا يجيب) .

(تعود اصوات باعة المرطبات تملأ المسرح من كل مكان . القطـــار وكأنه اخترق المسرح بصوته وبضوئه . يسقط احمد من المصطبة) .

احمد ـ هاني ، ارجو ان لا تقول هذه المرة ((ما مر من هنا قطار !))

هاني ـ نم يا صديقي واسترح وارحني .

احمد ـ انا ظمآن .. ألم يوافق هذا الرجل على بيع زجاجتيـــن من الكوكا كولا ؟

هاني ـ لقد وافق ولكنه طلب نقودا .

احمد ـ هاك خذ .

البائع ـ (يتفحصها) نقودك هذه تختلف عما يحمله صديقك . يبدو انكما من مدينتين مختلفتين .

هاني ـ اؤكد لك اننا من مكان واحد ونتجه نهدف واحد .

البائع ـ انا لا استطيع الاقتناع بذلك فان عملتيكما مختافتان .

هاني ـ انها عملة واحدة يا اخي ، لكن الفئة مختلفة . العمـلة التي قدمتها لك كانت من فئة الخمسين فلسا وتحمل صورة سيارة ، ونقود صديقي من فئة المائة فلس وتحمل صورة قطار .

البائع ـ جميعها مرفوضة . المكان هذا صحراوي لا نقبل فيـــه الا تلك العملة التي تحمل صورة جمل .

هاني ـ حسنا ، أي نوع من العملة قدمت لموزع الكوكا كولا ؟

البائع ـ لم أعطه أية عملة . الكوكا كولا التي تراها كانت نمـاذج للدعاية وزعتها الشركة عند تأسيسها مجانا .

احمد ـ اذن لماذا لا تبيع ؟ عسى ان يوفقك الله ويتسع مجـال عملك . ثم ربما يتردد الناس على هذا الطريق ويتـاح لك مجـــال اكبر للربـح .

البائع ـ بعدها سأصبح حديث الرائح والغادي ، وربما يكرهنـي البعض وتثار غيرة البعض الاخر .

احمد ـ على اية حال يا صديقي اننا بحاجة الى ما يروي ظمأنا.

هاني ـ نم يا صديقي ..

احمد ، كلا ، فقد جاء دورك .

(ينام هاني ويجلس احمد بجانبه) .

احمد ـ متى نصل يا الهي ؟

هاني ـ لا بد ان نصل يوما . كم مضى على مغادرتنا المدينة ؟

احمد ـ اية مدينة ؟

هاني ـ من اين اتينا اذن ؟

احمد ـ وهل هناك مدينة ؟

هاني ـ لا بد من وجودها ، ويبدو اننا أضعنا الطريق وسنصـل حال عثورنا على طريق .. أي طريق ..

احمد ـ ليس هناك من طريق ، وعليه فليست هناك مدينة .

هاني ـ (يقف) انا استطيع ان اجد الطريق . اتعرف ما الـذي نحن بحاجة اليه ؟

احمد ـ ما هو ؟

هاني ـ نحتاج الى نقود .. نقود نقود نقود نقود ، وعندها أتمكن من تعبيد شارع في الصحراء .. أي طريق مهما كان ، واذا وجـــد الطريق وجدت المدينة ..

احمد ـ وكيف نحصل على نقود ؟

هاني ـ نحصل عليها بأي وسيلة كانت .. تقتل احد التجار مثلا.

احمد ـ ألم نتفق على عدم لجوئنا الى الاساليب العنيفة ؟

هاني ـ بل يجب أن نؤمن بهذا فقط . العنف هو السبيل العصري الوحيد للوصول الى الغايات . لو استعملنا العنف هل يتمكن بائـــع المرطبات هذا الحقير من عدم تلبية طلبنا ؟

احمد ـ انه يملك الحق في ان يتصرف كما يشاء . الانسان اليوم مخلوق حر .. الا تفهم ماذا تعني الحرية ؟

هاني ـ بدأت أحس بالنعاس .

احمد ـ نم يا صديقي . تحرر .

(لحظات ويمتلىء المسرح باصوات باعة المرطبات . بارد ، بارد ـ ثم فجأة اصوات وأضواء سيارات وكأنها تمر بالمسرح رائحة غادية) .

هاني ـ (وهو نائم) هي تاكسي .. تاكسي (يفيق) يا صديقي احمد .. أما كان المفروض ان تعطي اشارة الى سائق احدى السيارات بالوقـــوف ؟

احمد ـ انك تحلم يا صديقي .

هاني ـ ليس حلما . لقد مر من هنا ما يقرب من عشرين سيارة أجـــرة .

احمد ـ اين هي اذن ؟

هاني ـ مرت واختفت .. لنسأل البائع . ايها السيد ، ألم تمر سيارات من هنا قبل قليل ؟

البائع ـ من هذا المكان لا تمر السيارات . من هنا تمر قوافـل الجمال . سيارة واحدة مرت منذ زمن . كانت سيارة تعود لشركـــة الكوكا كولا . القت بثلاثة صناديق ومضت .

هاني ـ لكنني شاهدت الكثير منها .

احمد ـ نم يا صديقي واحلم .

(هاني ينـام) .

احمد ـ (يتجه نحو البائع) كم من الوقت مضى وانت هنـــا ايها الرجل ؟

البائع ـ هل تحدثني ؟

احمد ـ اجل ، وهل هناك غيرنا ؟

البائع ـ من يدري ربما يكون هناك اخرون . لا بد من وجـــود اخريـــن .

احمد ـ اين هم اذن ؟

البائع ـ من يدري اين هم ؟ ان الفموض يكتنف هذا العـــالم يا صديقي .

احمد ـ على أي حال كم من الوقت مضى وانت هنا ؟

البائع ـ مضى زمن يا صديقي .

احمد ـ وهل تعيش مع عائلتك ؟

البائع ـ كلا فانا غريب .
احمد ـ لست من هذه المنطقة اذن ؟
البائع ـ بلى من نفس هذه المنطقة ، لكنني غريب .
احمد ـ وكم ستمكث هنا ؟
البائع ـ فترة من الزمن ، لا ادري قصيرة تكون او طويلة ، ثم ارحل .
احمد ـ الى اين ؟
البائع ـ ولماذا أخبرك ؟ وماذا يعنيك من امري ؟ كل يحمل همومه في هذه الايام ، فلقد ولى ذلك الزمن الذي كان فيه الواحد يتعاطف مع الاخر .
احمد ـ حسنا ، ما هي معلوماتك عن هذا المكان ؟ هل تعرف شيئا عنه ؟
البائع ـ وكيف لا اعرف ؟
احمد ـ حسنا ، اذن ارشدنا الى الطريق .. أي طريق .
البائع ـ لو كنت اعرف طريقا لسلكته .
احمد ـ آه .. ألا يسكن بعض الناس هنا او هناك ؟
البائع ـ الحقيقة يا صديقي ان ثمة جماعة من البدو الرحل كانوا يسكنون هنا ورحلوا .
احمد ـ واين ذهبوا على وجه التحديد ؟
البائع ـ راحوا يبحثون عن عيون المياه .. يا لحسرتي !
احمد ـ لماذا ؟
البائع ـ ثمة فتاة ساحرة مشرقة رحلت مع الجموع .
احمد ـ يبدو انك كنت مغرما بها ؟
البائع ـ نعم كنت مغرما بها ، ولكن ما الفائدة ؟
احمد ـ لماذا ؟
البائع ـ انها لا تحبني .
(يمتلىء المسرح باصوات باعة المرطبات من جديد . اصوات وأضواء السيارات وكأنها تمر بسرعة) .
هاني ـ هي تاكسي تاكسي .
احمد ـ ليست هناك سيارات يا صديقي . انك تحلم . انك تحلم.
هاني ـ (يفيق) .. يا احمد ! لقد مرت من هنا مجموعة كبيرة من السيارات وكأننا في قلب المدينة .
البائع ـ يا صديقي ، السيارات لا تمر من هنا . هذا طريق لقوافل الجمال .
هاني ـ حسنا ، لوح لاحد الجمال .
البائع ـ لم تمر بعد ، وان مرت فعن طريق الصدفة .
هاني ـ أستحلفك بالله ، اذا رأيت قافلة فاطلب من الحادي ان يوصلنا للمدينة .
احمد ـ نم يا صديقي واحلم (ينام هاني) ـ (يخاطب البائع) ماذا تحمل الجمال التي تمر من هنا ؟
البائع ـ لا تحمل شيئا .
احمد ـ اذن لماذا تقطع كل هذه المسافات الطويلة ؟
البائع ـ سؤالك هذا يجعلني اسالك لماذا خلق الله هذه الصحراء الواسعة ؟
احمد ـ انا اسالك لماذا ؟
البائع ـ خلقها الله لكي تسير عليها قوافل الجمال . ليس هنالك شيء خلق عبثا . الانسان لم يخلق عبثا . خلق لكي يأكل ويشرب وينام .. ويدخن السكائر مثلا .
احمد ـ قلت لكي يشرب ؟
البائع ـ نعم .
احمد ـ حسنا . اذن اعطني زجاجة كوكا كولا .
(البائع لا يجيب) .
احمد ـ ألا تخبرني ماذا تشرب انت ؟ ألا تحس بالعطش ؟
البائع ـ وهل هناك من لا يحس بالعطش ؟ حتى الجمال تحس بالعطش .
احمد ـ ماذا تشرب اذن ؟
البائع ـ سأخبرك ، ولكن ارجو ان يبقى الامر سرا بيننا .
احمد ـ سأكتم السر .
البائع ـ في وسط هذا (الكشك) توجد عين ماء (يمد يده ويخرج اناء معدنيا مربوطا بحبل ويخرج كمية من الماء ويفرغها وهكذا لاكثر من مرة) انظر .. هذا ماء زلال . ماء حلو كالعسل . ها هاي .
احمد ـ وماذا تاكل ؟
البائع ـ وماذا يعنيك من امري ؟ كم مرة قلت لك لا تتدخل في شؤون الاخرين ؟
احمد ـ لا بد أن أجد أجوبة لاسئلتي . تقول انك تحيا وحدك هنا . من كان يسكن في هذا المكان رحل ولم يعد له اثر . الطبيعة هنا لا تهب شيئا ، وانت لا تملك غير عين الماء فكيف تعيش ؟
(اصوات ـ بارد ـ بارد ـ اصوات السيارات تمر بسرعة) .
هاني ـ (يتململ) انني ظمآن .
احمد ـ وانا كذلك يا صديقي .
هاني ـ حاول ان تجد لنا حلا . فكر فكر فكر .
احمد ـ دعنا نقتل هذا البائع الحقير . فانه يملك عينا يقول ان فيها ماء زلالا وحلوا كالعسل .
هاني ـ انه يكذب . لا شك انه واحد من هؤلاء المشعوذين . الكل يكذبون !
احمد ـ لكنني رأيت الماء وقد سكبه شلالا ...
هاني ـ لا بد وانه ساحر !
احمد ـ ولكنني لن اخدع والا لكنت وصلت المدينة بسهولة . لنقتله !
هاني ـ لكننا اتفقنا على عدم استعمال العنف ، ولو اردنا هذا لكنا وصلنا مدينتنا بسهولة !
(ينزل ناقوس المحطة من اعلى المسرح ويدق بضع دقات ثم نشاهد أضواء القاطرات في خلفية المسرح حتى يقف القطار) .
صوت ـ سيداتي وسادتي ، مساء الخير . لقد وصل القطار . يرجى الاستعداد للسفر . شكرا .
(يخرج البائع من (كشك) الكوكا كولا يحمل حقيبة ويفتح باب احدى القاطرات التي نشاهد من نوافذها بعض المسافرين . يقف في الباب متطلعا الى احمد وهاني) .
البائع ـ هلا تفضلتما بالصعود معنا ؟
احمد ـ ولكن لا بد من معرفة اتجاه القطار ان كان يوصلنا لمدينتنا أم لا .
البائع ـ أنا شخصيا لا يمكنني معرفة ذلك .
هاني ـ هل نستطيع مناقشة السائق عن المكان الذي منه جاء القطار والى أي مكان يتجه ؟
البائع ـ لا يمكننا ذلك . أوامره لا تقبل المناقشة
احمد ـ هل هو موجود الان ؟
البائع ـ والله لا ادري . قد يكون موجودا وقد لا يكون .
هاني ـ اذن لا يمكننا الصعود .
البائع ـ فكرا بنفسيكما اذن .
(احمد وهاني يواصلان سيرهما فيخرجان من المسرح)
البائع ـ (للمشاهدين)
سيداتي سادتي
لقد انتهت مسرحيتنا .
ولكل مسرحية نهاية .
(يغلق باب القاطرة ويسدل الستار مع صوت تحرك القطار)

البصرة (العراق)

قاسم حول